موقف الإنسان من النعم بين الشكر والكفر
في ضوء القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

إعداد

د/ عمر فتحي عبد الرحمن عطية

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

جامعة الأزهر

من ١٧٧ إلى ٢٤٤

The Human Attitude Toward Divine " Blessings In The Holy Qur’an: Between Gratitude And Ingratitude "(An Objective Study)

Prepared by

Dr. Omar Fathy Abdel Rahman Attia
Lecturer of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah, Zagazig University

موقف الإنسان من النعم بين الشكر والكفر في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

عمر فتحي عبد الرحمن عطية
قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق – جامعة الأزهر – مصر
البريد الإلكتروني: omarattia607.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:
يتناول هذا البحث دراسة موضوعية لموقف الإنسان من نعم الله تعالى كما ورد في القرآن الكريم، مبينًا كيف تفاوتت مواقف البشر بين شكر النعمة وكفرها. ويهدف البحث إلى إيضاح مفهوم النعمة، والشكر، وكفر النعمة، مع بيان مظاهر نعم الله على عباده، ومنهج القرآن في الحث على الشكر وثماره، وكذلك التحذير من كفر النعمة وبيان عواقبه الوخيمة. تكمن أهمية البحث في صلته المباشرة بسلوك الإنسان اليومي، وفي الحاجة لترسيخ وعي قرآني يعزز شكر النعم ويُحذّر من كفرانها في ظل انتشار ظاهرة الجحود المعاصرة. ويعتمد البحث على الاستقراء والتحليل للنصوص القرآنية ذات الصلة. ومن خلال تتبع الآيات، يظهر أن شكر النعمة يُعد مظهرًا من مظاهر الإيمان، بينما كفرها سبب في زوالها وهلاك الأمم. ويخلص البحث إلى ضرورة تفعيل القيم القرآنية في واقع المسلمين لحفظ النعم واستدامتها.

الكلمات المفتاحية: موقف الإنسان ؛ النعم ؛ الشكر ؛ الجحود؛ كفر النعمة.

"The Human Attitude Toward Divine Blessings In The Holy Qur'an: Between Gratitude And Ingratitude (An Objective Study)"

Omar Fathy Abd Elrahman Attia
Department Of Tafsir And Quranic Sciences, Faculty Of Fundamentals Of Religion And Dawah In Zagazig – Al-Azhar University – Egypt.
Email: omarattia607.el@azhar.edu.eg

Abstract:

This study offers an objective analysis of the human stance toward divine blessings as presented in the Holy Qur'an, highlighting the spectrum of human responses—from gratitude to ingratitude. The research aims to define the concepts of ni'mah (blessing), shukr (gratitude), and kufr al-ni'mah (ingratitude), while outlining the manifestations of God's favors upon His creation. It further explores the Qur'anic approach to encouraging gratitude and its benefits, as well as the warning against ingratitude and its dire consequences.

The significance of this study lies in its direct relevance to everyday human behavior and the pressing need to foster Qur'anic consciousness that reinforces thankfulness in the face of a growing culture of denial. Employing inductive and analytical methods, the research examines relevant Qur'anic texts, concluding that gratitude is a sign of true faith, while ingratitude leads to the loss of blessings and the downfall of nations. Ultimately, the study underscores the necessity of applying Qur'anic values in contemporary Muslim life to safeguard and sustain divine favors.

Keywords: Human Attitude ; Divine Blessings ; Gratitude ; Ingratitude.

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم على عباده بنعم لا تُعد ولا تُحصى، وجعل شكرها سببًا في دوامها وزيادتها، وجعل كفرها سببًا في زوالها وانقلابها، والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ النعم الإلهية تحيط بالإنسان من كل جانب، ظاهرة وباطنة، دينية ودنيوية، ماضية وحاضرة، ... قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]. وقد تناول القرآن الكريم هذه النعم في سياقات متعددة، فذَّكر بها، ولفت الأنظار إليها، وحث على شكرها، وحذّر من كفرها، وبيّن مآلات الناس تجاهها. ومن هنا نشأت فكرة هذا البحث الذي جاء بعنوان: "موقف الإنسان من النعم بين الشكر والكفر في ضوء القرآن الكريم– دراسة موضوعية"، ليعالج هذا الموضوع من زاوية قرآنية تأصيلية، تتتبع الآيات ذات الصلة وتُبرز المنهج القرآني في توجيه الإنسان نحو التعامل الصحيح مع نعم الله تعالى.

- **أهمية الموضوع**:

تبرز أهمية هذا الموضوع من خلال ما يلي:

١. اتصاله المباشر بحياة الإنسان اليومية، إذ لا يكاد يخلو فرد من أن يكون في موقع المتلقِّي للنعم، مما يعكس مكانة هذا الجانب في بناء السلوك الفردي.

٢. كثرة تناول القرآن الكريم لموضوع النعم ومفاهيم الشكر والكفر، بما يعكس الأهمية البالغة لهذا الموضوع ضمن منظومة التوجيه الإلهي للسلوك الإنساني.

٣. عواقب الموقف من النعمة، إذ يترتب على شكرها مزيد من الخيرات، بينما يؤدي كفرها إلى سلب النعمة ونزول العقوبات، كما هو ظاهر في كثير من قصص الأمم السابقة.

٤. أهمية ترسيخ ثقافة الشكر في المجتمعات المسلمة، في ظل مظاهر الغفلة وكفران النعمة المنتشرة في الواقع المعاصر.

- **أسباب اختيار الموضوع**:

تم اختيار هذا الموضوع للأسباب التالية:

١. الحاجة الملحّة لبيان المنهج القرآني في التعامل مع النعم في ظل الواقع الذي يشهد صورًا متعددة من الغفلة عن الشكر وظهور مظاهر الكفر بالنعمة.

٢. قلة الدراسات الموضوعية المتخصصة التي تجمع بين عرض النعمة، وبيان مفهوم الشكر، وتحليل موقف الكفر بها، في ضوء نصوص القرآن الكريم.

٣. الرغبة في إبراز الجوانب التربوية والإيمانية في القرآن الكريم التي تعين المسلم على تصحيح علاقته بالله تعالى من خلال موقفه من نعمه.

٤. السعي في تقديم إضافة علمية للمكتبة الإسلامية في هذا المجال، وفتح آفاق جديدة للبحث والتأمل.

٥. الرغبة الشخصية في التزود العلمي والتربوي من معين القرآن الكريم فيما يخص علاقة العبد بخالقه من خلال مظاهر النعمة.

- **أهداف البحث**:

١. بيان مفهوم النعمة في ضوء القرآن الكريم، وتحديد دلالة كل من الشكر وكفر النعمة، وبيان مظاهر نعم الله المتعددة على عباده.

٢. استكشاف منهج القرآن الكريم في الحث على الشكر، وبيان ثماره وآثاره في حياة الأفراد والمجتمعات.

٣. عرض نماذج للشاكرين من الأنبياء والصالحين الذين امتدحهم الله في كتابه العزيز.

٤. التحذير من كفر النعمة من خلال تتبع النماذج القرآنية لأفراد وأمم

جحدوا نعم الله، وبيان ما ترتب على ذلك من عواقب وخيمة.

٥. استخلاص الدروس والعبر من التوجيه القرآني في التعامل مع النعم، وربطها بالواقع المعاصر؛ لتعزيز الوعي المجتمعي بقيمة النعمة وخطر جحودها.

- **مشكلات البحث**:

يواجه هذا البحث عددًا من الإشكالات التي يسعى للإجابة عنها، ومنها:

١. ما مفهوم "النِّعمة" في ضوء القرآن الكريم؟ وما أبرز مظاهر نعم الله على الإنسان كما يصورها النص القرآني؟

٢. كيف عرض القرآن الكريم موقف الإنسان من النعم؟ وما صور شكره أو كفره بها؟

٣. ما المنهج القرآني في الحث على شكر النعمة، وكيف تناول ظاهرة كفرانها وعالجها؟

٤. ما الآثار التي رتبها القرآن الكريم على شكر النعمة أو كفرها في الدنيا والآخرة؟

٥. ما هي الدروس المستفادة من العرض القرآني لهذه القضايا، وما مدى إمكانية توظيفها في بناء وعي مجتمعي معاصر بقيمة النعم وضرورة شكرها؟

- **خطة البحث ومنهجه**:

- أولًا: خطة البحث: –

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

- فالمقدمة: وذكرت فيها ما يلي: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومشكلات البحث، وخطة البحث ومنهجه.

- **المبحث الأول: (نعم الله على عباده)، ويتكون من مطلبين:**
- **المطلب الأول: تعريف النعمة لغة واصطلاحًا.**
- **المطلب الثاني: من مظاهر نعم الله على عباده.**
- **المبحث الثاني: (شكر النعم)، ويتكون من ثلاثة مطالب:**
- **المطلب الأول: تعريف الشكر لغة واصطلاحًا.**
- **المطلب الثاني: منهج القرآن في الحث على شكر النعمة.**
- **المطلب الثالث: ثمار الشكر وآثاره.**
- **المبحث الثالث: (كفر النعمة)، ويتكون من مطلبين:**
- **المطلب الأول: تعريف الكفر.**
- **المطلب الثاني: منهج القرآن في التحذير من كفر النعمة وبيان عواقبه.**
- **خاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.**
- **فهرس المراجع والمصادر.**
- **<u>ثانيًا: منهج البحث:</u>**
- **سوف يعتمد الباحث المنهج الاستقرائي، وذلك عند جمع الآيات المتعلقة بموضوع البحث، ثم المنهج التحليلي، عند دراسة هذه الآيات واستنباط المعاني والأحكام، ثم المنهج التوثيقي بنسبة كل قول إلى قائله.**
- **<u>إجراءات البحث:</u>**
- **جمع الآيات القرآنية الكريمة التي تتصل بكل مبحث اتصالًا مباشرًا، وبيان معناها ووجه الدلالة منها.**
- **عزو جميع الآيات الواردة في البحث وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب البحث وليس الهامش، كما حرصت على رسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني بخط مصحف المدينة المنورة الإصدار**

الثاني.

- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث، وذلك بعزوها إلى مصادرها الأصلية، مع الحكم عليها في غير صحيحي البخاري ومسلم، من خلال حكم المحققين على الحديث.
- تحقيق أسباب النزول الواردة في البحث، والحكم على أسانيدها ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.
- الرجوع إلى معاجم اللغة العربية في بيان معاني المصطلحات اللغوية.
- إدخال علامات الترقيم المعتادة على النص.
- حرصت على تدعيم البحث بنصوص شرعية من الكتاب والسنة وأقوال العلماء – مع الالتزام بالأمانة العلمية– وتمييز كل ذلك بعلامات التنصيص والأقواس.

المبحث الأول

نعم الله على عباده

المطلب الأول: تعريف النعمة لغة واصطلاحًا:

أولًا: تعريف النعمة لغة:

قال ابن فارس: "(نعم) النون والعين والميم فروعه كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح. منه النِّعمة: ما ينعم الله تعالى على عبده به من مال وعيش. يقال: لله تعالى عليه نعمة. والنعمة: المنة، وكذا النعماء. والنِّعمة: التنعم وطيب العيش. قال الله تعالى: ﴿وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧﴾ [الدخان: ٢٧]"[١].

وقال الراغب الأصفهاني: "النِّعمة: الحالة الحسنة، وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنَّعمة: التنعم، وبناؤها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة، والنِّعمة للجنس تقال للقليل والكثير. قال تعالى: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها"[٢].

وفي مختار الصحاح: "ن ع م: (النعمة) اليد والصنيعة والمنة وما أنعم به عليك"[٣].

وفي المعجم الوسيط: "(النعمة) ما أنعم به من رزق ومال وغيره"[٤].

من خلال ما سبق يتبين لي: أن "نعم" ومشتقاتها تدل على الترف وطيب العيش والصلاح، وما ينعم الله به على عبده من رزق ومال ومنة وصنيعة، وتشمل القليل والكثير.

ثانيًا: تعريف النعمة اصطلاحًا:

عرفت النعمة بتعاريف كثيرة، منها ما ذكره الجرجاني في تعريفاته بقوله: "النعمة هي ما يقصد به الإحسان والنفي، لا لغرض ولا لعوض"[١].

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (نعم)، (٥/ ٤٤٦).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص: ٨١٤).

(٣) مختار الصحاح، أبو عبد الله الرازي، (نعم)، (ص: ٣١٤).

(٤) المعجم الوسيط، (نعم) (٢/ ٩٣٥).

وقيل: "النعمة هي في أصل وضعها الحالة التي يستلذها الإنسان"[٢].

وقيل: "النعمة: الخير يصل إلي المرء في دينه أو دنياه. فالمال نعمة، والجاه نعمة. والإيمان نعمة، والسمع والبصر نعمتان. والعلم والحكمة نعمة، والقرآن نعمة، وجمعها (نعم وأنعم) وقد يراد بالنعمة الجنس فتوضع موضع النعم، وقد توضع النعمة موضع الإنعام، فتكون اسم مصدر من أنعم"[٣].

من خلال ما سبق يتبين لي: أن النعمة هي الإحسان الخالص الذي لا يهدف إلى غرض أو عوض، أو الحالة التي يستلذها الإنسان، كما أنها تشمل كل خير يصل إلى المرء في دينه أو دنياه، مثل: الصحة، والمال، والأمن، والإيمان، والقرآن، وغيرها.

المطلب الثاني: من مظاهر نعم الله على عباده

نعم الله تعالى على عباده لا تُعد ولا تُحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ قال العلامة أبو السعود "﴿لَا تُحۡصُوهَآ﴾ أي: لا تطيقوا حصرها، وضبط عددها، ولو إجمالًا، فضلًا عن القيام بشكرها"[٤].

هذا، وقد تكررت هذه الجملة القرآنية في موضعين من سور القرآن الكريم مع اختلاف الفاصلة في كل سورة، هما قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ ، وقوله ﷻ في سورة النحل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾.

وقد ذكر وعلق الإمام الزركشي رحمه الله على هاتين الآيتين في (كتابه البرهان في علوم القرآن) عند شرحه (باب معرفة الفواصل ورؤوس الآيات) قائلًا: "من بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد؛ لنكتة لطيفة، وذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا

---

(١) التعريفات، الجرجاني (ص:٢٤٢).

(٢) الكليات، أبو البقاء الحنفي (ص: ٩١٢).

(٣) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل (٥/ ٨٣).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؛ أبو السعود (٥/ ١٠٥).

تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ ثم قال في سورة النحل: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ قال القاضي ناصر الدين بن المنير في تفسيره الكبير: (كأنه يقول إذا حصلت النعم الكثيرة، فأنت آخذها وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلومًا وكونك كفارًا، ولي عند إعطائها وصفان: وهما أني غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفراني، وكفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء) انتهى. يقول الزركشي: "وهو حسن لكن بقي سؤال آخر: وهو ما الحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المنعم، وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه؟ والجواب أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جُبل عليه؛ فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات ألوهيته وتحقيق صفاته؛ فناسب ذكر وصفه سبحانه، فتأمل هذه التراكيب ما أرقاها في درجة البلاغة"[(١)].

ومعنى ما ذكره الزركشي رحمه الله: أن هذا التخصيص يعكس السياق العام لكل سورة؛ ففي سورة إبراهيم يأتي هذا السياق في مساق وصف الإنسان (المنعم عليه) وطبيعته (الظلوم الكفار). أما في سورة النحل فيأتي في سياق إثبات ألوهية الله (المنعم) وصفاته العظيمة (الغفور الرحيم).

هذا، ونعم الله ﷻ على عباده لا تعد ولا تحصى، ولا يمكن حصرها أو إحصاؤها؛ لأنها غير متناهية، ولو خُصصت مجلدات عديدة لتوثيقها لما استوعبتها؛ لذا سأكتفي بذكر نموذجين فقط من نعم الله على الإنسان: (١) نعمة الهداية (٢) النعم المادية على العباد.

أولًا: نعمة الهداية:

إن أعظم وأجل نعمة على الإطلاق هي نعمة الهداية – نعمة الإسلام والإيمان، وأنك رضيتَ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًا ورسولًا – قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣]

هذه الآية آخر آيات القرآن الكريم نزولًا، وقد نزلت في عرفة في حجة الوداع، وقد مكث رسول الله ﷺ بعد هذه الآية واحدًا وثمانين يومًا ثم قبضه الله تعالى إليه. قال الحافظ ابن كثير: "قوله: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٨٦/١).

﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ هذه أكبر نعم الله ﷻ على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدًا"[١].

هذا، ونعمة الهداية هي السعادة الأبدية السرمدية في الدنيا والآخرة، يُمنّ الله ﷻ بها على من يشاء من عباده، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

فلما اعتبر الأعراب إسلامهم وقدومهم على النبي ﷺ منةً، أمره ﷻ أن يرد عليهم بقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ موضحًا أن نفع الإسلام يعود عليهم لا عليه.

سبب نزول الآية: أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله ابن أبي أوفى أن ناسًا من العرب قالوا يا رسول الله أسلمنا، ولم نقاتلك، وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ الآية"[٢].

قال الحافظ ابن كثير: "قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ يعني: الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول، يقول الله ردًا عليهم: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم، ولله المنة عليكم فيه ﴿بَلِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/٢٦).

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي (ص: ١٨٢).

﴿ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: في دعواكم ذلك، كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين: "يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ " كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمن"[١].

ثانيًا: النعم المادية

نعم الله ﷻ على عباده لا تعد ولا تحصى كما ذكرت سابقًا؛ لذا سأقتصر في هذا السياق على عرض بعض النماذج التي تجسد عظيم فضل الله تعالى وسعة رحمته.

١- نعمة الرزق والطعام والشراب

قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

تأمر هذه الآيات الإنسان بالنظر والتأمل في طعامه، ليس فقط كغذاء يسد جوعه، بل كآية ودليل على عظيم قدرة الله، ونعمه التي لا تحصى.

قال الإمام القرطبي: "لما ذكر جل ثناؤه ابتداء خلق الإنسان ذكر ما يسر من رزقه، أي فلينظر كيف خلق الله طعامه، وهذا النظر نظر القلب بالفكر، أي ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، ليستعد بها للمعاد"[٢].

وقال الأستاذ/ محمد عزت دروزة: "ومع أن ورود جمع المخاطب في الآية الأخيرة يجعل الكلام موجهًا في الدرجة الأولى إلى السامعين وبخاصة المكابرين الجاحدين منهم، فإن أسلوب الآيات وبدأها بخطاب الإنسان يجعلها كذلك عامة التوجيه والتنديد أيضًا.

والمتبادر أن ما عددته الآيات من نعم الله على الإنسان من أنواع الغذاء لم يكن على سبيل الحصر، وإن كان يتضمن التنويه بما فيه قوام حياة الإنسان

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٩٠/٧)، والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (ك) المغازي، (ب) غزوة الطائف، (١٥٧/٥)، حديث رقم (٤٣٣٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن؛ القرطبي (٢٢٠/١٩).

والأنعام تقوية للتذكير وإحكامًا للتنديد. كذلك فإن الآيات ليست بسبيل بيان نواميس الطبيعة، وإنما هي بسبيل الوعظ والتذكير بما هو ماثل للناس وواقع تحت مشاهدتهم وحاصل بممارستهم وفيه متاع متنوع الأشكال والصور لهم. وقد استهدفت إيقاظ الضمير الإنساني وحمله على الاعتراف بفضل الله وحقه وربوبيته"[١].

والخلاصة: أن هذه الآيات تشكل دعوة صريحة من الله تعالى للإنسان كي يتأمل ويتفكر في أصل وجوده ورزقه، وتفصيل النعم المادية التي تُشكل قوام حياته، بدءًا من نزول المطر وشق الأرض، إلى إخراج مختلف الثمار والمحاصيل كالحبوب والعنب والزيتون والنخل والفواكه وغيرها؛ والهدف من كل هذه النعم هو منفعة الإنسان والأنعام؛ لعله يقابل تلك النعم بالوفاء والشكر والإيمان.

٢- نعمة المسكن

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾[النحل: ٨٠].

قال العلامة الصابوني: " ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ هذا تعداد لنعم الله على العباد، أي: جعل لكم هذه البيوت من الحجر والمدر؛ لتسكنوا فيها أيام مُقامكم في أوطانكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ أي: وجعل لكم بيوتًا أُخرى وهي الخيام والقُباب المتخذة من الشعر والصوف والوبَر ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ أي: تستخفون حملها ونقلها في أسفاركم، وهي خفيفةٌ عليكم في أوقات السفر والحضَر ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا﴾ أي: وجعل لكم من صوف الغنم، ووبر الإبل، وشعر المعز ما تلبسون وتفرشون به بيوتكم ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ أي: تنتفعون وتتمتعون بها إلى حين الموت"[٢].

والخلاصة: أن نعمة المسكن تعد من أجل النعم التي امتن الله بها على الإنسان، حيث يجد فيه الطمأنينة والراحة ووسيلة للوقاية والحماية من

---

(١) التفسير الحديث؛ دروزة (٢/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) صفوة التفاسير، الصابوني (٢/ ١٢٧).

الظروف الخارجية، وتُعد دليلًا على رحمة الله وتدبيره، مما يدعو الإنسان إلى التفكر والشكر.

٣- وسائل الإدراك (السمع والأبصار والأفئدة)

وكما أنعم الله على الإنسان بنعمٍ ظاهرةٍ كنعمة الطعام والشراب والمسكن، فقد منَّ عليه - أيضًا - بنعمٍ باطنة تتمثل في وسائل الإدراك من السمع والبصر والقلوب؛ لعله يشكر الله على تلك النعم العظيمة.

وقد ورد ذكر هذه النعم في أربعة مواضع من القرآن الكريم، على النحو الآتي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

٢- وقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

٣- وقوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩ ﴾ [السجدة: ٧-٩].

٤- وقوله جل جلاله: ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ ﴾ [الملك: ٢٢-٢٣].

ومن خلال تدبر هذه الآيات نُلاحظ ما يلي:

أولًا: أن جميع هذه المواضع قد جاءت في سياق الامتنان من الله على عباده؛ تذكيرًا لهم بعظيم نعمه وفضله عليهم، مما يستدعي منهم الشكر والاعتراف بالجميل.

ثانيًا: بين الله ﷻ عظيم نعمه على الإنسان بإعطائه (السمع والأبصار والأفئدة)، وخص هذه الثلاثة بالذكر؛ لشرفها وفضلها، ولأنها مفاتيح لكل علم، ولا سبيل للعبد إلى العلم إلا من أحد هذه الأبواب. قال الإمام الرازي: "اعلم أنه سبحانه بين عظيم نعمه من وجوه: أحدها: بإعطاء السمع والأبصار

والأفئدة وخص هذه الثلاثة بالذكر لأن الاستدلال موقوف عليها"[١]. وقال العلامة السعدي: "خص هذه الأعضاء الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئًا فشيئًا إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللائقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة"[٢].

ثالثًا: تذييل الآيات وخاتمتها: الموضع الأول في سورة النحل، ذُيِّل بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ مما يحمل دلالة الرجاء والأمل في تحقق الشكر من العباد.

قال الإمام الطبري: "﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول: فعلنا ذلك بكم، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك، دون الآلهة والأنداد، فجعلتم له شركاء في الشكر، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك"[٣].

وقال الإمام الماتريدي: "﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هو حرف شك في الظاهر؛ ذكر – والله أعلم – لأنه لا كل الناس يشكرون نعمه، أو لكي يلزمهم الشكر"[٤].

وقال الأستاذ/ أحمد المراغي: "﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: رجاء أن تشكروه باستعمال نعمه فيما خلقت لأجله، وتتمكنوا بها من عبادته تعالى، وتستعينوا بكل جارحة وعضو على طاعته"[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب؛ الرازي(٢٣/ ٢٨٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن؛ السعدي (ص: ٤٤٥).

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن؛ الطبري (١٧/ ٢٦٥ –٢٦٦).

(٤) تأويلات أهل السنة؛ الماتريدي (٦/ ٥٤٥).

(٥) تفسير المراغي (١٤/ ١١٨). وقال فضيلة الشيخ مناع القطان في كتابه مباحث في علوم القرآن (ص:٢١٨): "تستعمل "لعل" و"عسى" للرجاء والطمع في كلام المخلوقين حيث يشك الخلق في الأمور الممكنة ولا يقطعون على الكائن منها، أما بالنسبة إلى الله تعالى: فقيل: هما يدلان على الحصول والوجوب، لأن نسبة الأمور إلى الله نسبة قطع ويقين. وقيل إنهما للترجي على بابهما،

وقال فضيلة الشيخ أبو زهرة: "﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: رجاء أن تشكروا؛ لتوافر أسباب الشكر ودواعيه، والرجاء من العباد، لا من الله سبحانه وتعالى"[١].

أما المواضع الثلاثة المتبقية، فقد اتفقت في التذييل بقوله تعالى: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ وهذا يشير إلى حقيقة واقعية وهي تقصير كثير من الناس في أداء حق الشكر على هذه النعم الجليلة، وهو ما يدعو إلى التأمل والمساءلة.

قال الحافظ ابن كثير:" قوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي: وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم"[٢].

والخلاصة: أن الله ﷻ قد خلق الإنسان ومنحه وسائل الإدراك (السمع والبصر والفؤاد)؛ لعله يشكر الله، ولكن معظم الناس لا يشكرون الله إلا قليلًا، رغم كثرة نعمه عليهم.

ولكن الترجي يكون بالنسبة إلى المخاطبين. وقيل: إن "عسى" و"لعل" في كثير من المواضع تكون للتعليل"..

(١) زهرة التفاسير (٨/ ٤٢٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير (٤٨٨/٥).

المبحث الثاني

(شكر النعم)

المطلب الأول: تعريف الشكر لغة واصطلاحًا:

- **أولًا: تعريف الشكر لغة:**

١- قال العلامة الأزهري: "الشكر: عرفان الإحسان ونشره، وحمد موليه ... والشكور من أسماء الله ﷻ معناه أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم به الجزاء ... وأما الشكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وظف عليه من عبادته"[١].

٢- وقال العلامة الراغب الأصفهاني: الشكر: تصور النعمة وإظهارها، قيل: وهو مقلوب عن الكشر، أي: الكشف، ويضاده الكفر، وهو: نسيان النعمة وسترها.. والشكر ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصور النعمة. وشكر اللسان، وهو الثناء على المنعم. وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه"[٢].

٣- وقال العلامة الفيروز آبادي: "الشكر، بالضم: عرفان الإحسان ونشره ... ومن الله: المجازاة، والثناء الجميل[٣]".

٤- وجاء في المعجم الوسيط: "الشكر: عرفان النعمة وإظهارها والثناء بها، ومن الله الرضا والثواب"[٤].

<u>من خلال ما سبق يتضح لي أن:</u>

- **الشكر هو عرفان الإحسان ونشره والثناء على فاعله، أو تصور النعمة وإظهارها، وهو عكس الكفر (نسيان النعمة وسترها).**
- **والشكور في حق الله معناه: أنه سبحانه يزكي القليل من أعمال العباد ويضاعف لهم الأجر.**

---

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، مادة (شكر) (١٠/ ١٠-١٢) باختصار.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: ٤٦١) باختصار.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (شكر)، ص (٤١٩).

(٤) المعجم الوسيط، مادة (شكر)، (١/ ٤٩٠)

- أما الشكور بالنسبة للعباد فمعناه: من يجتهد في شكر ربه بطاعته وأداء عباداته.
- وينقسم الشكر إلى ثلاثة أقسام:

(أ) شكر القلب: ويكون بتصور النعمة وإدراكها.

(ب) شكر اللسان: بالثناء على المنعم والحمد.

(ت) شكر الجوارح: بمكافأة النعمة بقدر استحقاقها، واستعمالها فيما يرضي الله.

- **ثانيًا: تعريف الشكر اصطلاحًا:**

- عُرف الشكر اصطلاحًا بعدة تعريفات، منها ما عرفه الجرجاني في تعريفاته بأنه: "الشكر: عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب، وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله، أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة، والله يشكر العبد، أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته.

الشكر اللغوي: هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجنان والأركان.

الشكر العرفي: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله"[١].

- وقيل هو: كل ما هو جزاء للنعمة عرفًا فإنه يطلق عليه الشكر لغة[٢].
- وقيل هو: صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله"[٣].

- **الشكر عند المفسرين:**

١- جاء في تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل): "وأصل الشكر هو تصور النعمة وإظهارها، ويضاده الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها، والشكر على ثلاث أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة. وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة. وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة

---

(١) التعريفات، الجرجاني (ص: ١٢٨).

(٢) الكليات، أبو البقاء الحنفي (ص: ٥٢٣)

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (ص: ٢٠٦).

بقدر استحقاقها، وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل: حقيقة الشكر العجز عن الشكر. ... وقال الفضيل: شكر كل نعمة أن لا يعصى بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل: شكر النعمة أن لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافأة ولمن دونك بالإحسان والإفضال"[١].

٢- وقال العلامة السعدي: الاعتراف بجميع نعم الله، والثناء على الله بها، والاستعانة بها على طاعة المنعم[٢].

٣- وعرفه الشيخ محمد سيد طنطاوي بأنه: الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم لموجدها، ووضعها في الموضع الذي أمر به"[٣].

٤- وقال العلامة الصابوني: "الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. ويكون على وجهين: أحدهما: الاعتراف بالنعمة وذلك بالثناء على المنعم {لئن شكرتم لأزيدنكم} [إبراهيم: ٧]. والثاني: صرف النعمة فيما يرضي الله، وذلك باستعمال السمع والبصر وسائر الحواس فيما خلقت له"[٤].

- من خلال ما سبق يتضح لي أن: الشكر هو مقابلة الإحسان بالمعروف، سواء كان ذلك باللسان، أو اليد، أو القلب .. وهو الثناء على المنعم بذكر إحسانه، ويشمل صرف النعم فيما خُلقت له.

المطلب الثاني: منهج القرآن في الحث على شكر النعمة

وردت مادة (شكر) ومشتقاتها في القرآن (٧٥) مرة بصيغ وتصريفات متنوعة[٥]، وذلك لأهميتها في توجيه سلوك الإنسان نحو الخالق ﷻ، وشكره على نعمه التي لا تحصى.

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (١/ ٤٦) باختصار.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٩٤٣)

(٣) التفسير الوسيط، طنطاوي (١/ ٣٤٩).

(٤) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الصابوني (١/ ١٥٤).

(٥) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص (٣٨٥-٣٨٦).

وقد تنوعت أساليب القرآن في الحث على شكر النعم، منها ما كان بصيغة الأمر المباشر، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ففي هذه الآية نجد أنها قد عطفت الأمر بالأكل من الطيبات بالأمر بالشكر؛ لأن إباحة الطيبات نعمة توجب شكر المنعم.

قال الشيخ أبو زهرة: "أردف الله ﷻ الأمر بالأكل من الطيبات بالأمر بالشكر؛ لأن هذه الإباحة للطيبات نعمة، والنعمة توجب الشكر المنعم، الذي أباح ومكن، والشكر يكون بترك المعاصي ولزوم الطاعات والتقوى والتقرب إليه سبحانه وتعالى، وطلب رضوانه"(١).

وقال صاحب التحرير والتنوير: "وقوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ معطوف على الأمر بأكل الطيبات الدال على الإباحة والامتنان، والأمر في (اشكروا) للوجوب؛ لأن شكر المنعم واجب"(٢).

وقال الدكتور/ وهبة الزحيلي: "الأكل من الطيبات مع شكر النعمة موقف وسط يجمع بين متطلبات الجسد والروح معًا، فنأكل للحفاظ على الجسم بلا إسراف ولا تقتير، ونغذي الروح بشكر الله ﷻ على ما أنعم"(٣).

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: إن كنتم تعبدون الله حقًا، ولا تشركون معه في العبادة أحدٌ غيره، وقدم الضمير (إياه) على فعل العبادة؛ للإشارة إلى اختصاصه تعالى بالعبادة وحده.

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

والخلاصة: أن الله ﷻ قد عطف الأمر بالأكل من الطيبات (وهو أمر مباح)، بالأمر بالشكر (وهو أمر واجب)؛ لأن هذه الإباحة نعمة، وشكر المنعم واجب. والأكل من الطيبات مع شكر النعمة موقف وسط يجمع بين متطلبات

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة (١/ ٥٠٧ -٥٠٨) باختصار.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢/ ١١٤).

(٣) التفسير المنير، الزحيلي (٢/ ٧٨).

الجسد والروح معًا، فنأكل للحفاظ على الجسم بلا إسراف ولا تقتير، ونشكر لنرتقي بالروح ونؤدي حق الخالق بلزوم الطاعات وترك المعاصي.

الشكر وعد إلهي بزيادة العطاء:

ومن أساليب القرآن في الحث على شكر النعم: الربط بين الشكر وزيادة النعم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧] قال الأستاذ/ أحمد المراغي: "دلت التجارب أن العضو الذي يناط به عمل كلما مرن عليه ازداد قوة، وإذا عطل عن العمل ضمر وضعف، وهكذا النعم إن استعملت فيما خلقت له بقيت، وإن أهملت ذهبت... والخلاصة إن من شكر الله على ما رزقه وسع عليه في رزقه، ومن شكره على ما أقدره عليه من طاعته زاد في طاعته، ومن شكره على ما أنعم عليه من صحة زاده الله صحة، إلى نحو أولئك من النعم"(١).

وقال العلامة أبو زهرة: "(تأذن) بمعنى آذن وأعلم، ولفظ (تأذن) يدل على المبالغة في الإعلام، وتكرره آنًا بعد آن، وشكر النعمة أداؤها فيما خلقت له، فشكر نعمة الأذن ألا يسمع إلى منكر، وشكر نعمة اللسان ألا ينطق إلا بالحق، وشكر نعمة العقل ألا يذعن إلا للحق ولا يفكر إلا في الوصول إلى الحق والإيمان بالتوحيد، والإنسان مغمور في نعم من لسان ينطق وأذن تسمع، وعين تبصر وجوارح تكسب، وكل نعمة لها شكرها، فإن شكر زادها الله تعالى "(٢).

كذلك من الآيات التي ربطت بين الشكر وزيادة النعم، قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣]. تشير هذه الآية إلى أن من يعمل حسنة، سواء كانت عبادة أو إحسانًا، فإن الله يضاعف له الأجر والثواب، ويوفقه للمزيد من الطاعات. وتبرز الآية صفتين من صفات الله: (الغفور) لمن تاب من الذنوب، (الشكور) الذي يجزي العمل القليل بالثواب العظيم.

---

(١) تفسير المراغي (١٣/ ١٣٠) باختصار.

(٢) زهرة التفاسير (٨/ ٣٩٩٤).

قال الحافظ ابن كثير: "قوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: ومن يعمل حسنة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: أجرًا وثوابًا، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:٤٠]. وقال بعض السلف: (إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها). وقوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: يغفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات، فيستر ويغفر، ويضاعف فيشكر"[١].

وقال العلامة أبو السعود: "قوله:﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: غفور لمن أذنب، شكور لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة"[٢].

وقال العلامة الطاهر بن عاشور: "وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ تذييل وتعليل للزيادة لقصد تحقيقها بأن الله كثيرة مغفرته لمن يستحقها، كثير شكره للمتقربين إليه. والمقصود بالتعليل هو وصف الشكور، وأما وصف الغفور فقد ذكر للإشارة إلى ترغيب المقترفين السيئات في الاستغفار والتوبة ليغفر لهم، فلا يقنطوا من رحمة الله"[٣].

<u>والخلاصة:</u> أن الله قد وعد وعدًا قاطعًا وصريحًا بالزيادة والبركة لمن يقابل نعمه بالشكر؛ وأكد ﷻ هذا الوعد بعدد من المؤكدات في الآية الأولى: منها قوله (تأذن ربكم) وهي صيغة تفيد الإعلام والإيذان والعهد المؤكد، كما اشتملت الآية على شرط وقسم في قوله: (لئن شكرتم لأزيدنكم)، وكذلك نون التوكيد الثقيلة في قوله (لأزيدنكم). وفي الآية الثانية باستخدام صيغة المبالغة (شكور) التي تفيد المبالغة في توفية الحسنات ومضاعفاتها.

المقابلة بين الشكر والكفر:

ومن أساليب القرآن في الحث على شكر النعم: المقابلة بين الشكر والكفر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]. فالله تعالى قد وعد بالزيادة والبركة لمن يشكر نعمه (لئن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/٢٠٤).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٨/ ٣٠).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥/ ٨٥).

شكرتم لأزيدنكم)، بينما توعد بالعذاب الشديد لمن يجحدها(ولئن كفرتم إن عذابي لشديد).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان:٣]. فالآية الكريمة تشير إلى أن الله تعالى قد بين للإنسان طريق الهدى والضلال .. والخير والشر .. ببعثة الرسل، وإنزال الكتب، ومنحه العقل؛ وترك له حرية الاختيار، ثم هو بعد ذلك إما أن يكون مؤمنًا شاكرًا لنعمة الله، فيسلك سبيل الخير والطاعة، وإما أن يكون شقيًا فاجرًا، فيكفر بنعمة الله، فينكرها ويجحدها، ويعرض عن طاعة الله .. ولما كان الشكر صفة لا يتحلى بها إلا القليل، عبر عنه القرآن بصيغة اسم الفاعل ﴿شَاكِرًا﴾ للدلالة على ندرة الفعل واستمراريته، بينما جاء الكفر بصيغة المبالغة ﴿كَفُورًا﴾ لكونه الغالب على الناس، وللدلالة على التوغّل في الجحود. كما أن الإنسان بطبعه لا يخلو من صور من الكفر، فجاء التعبير تنبيهًا له على ذلك، وتحفيزًا على الرجوع إلى الله الذي يرضى بالقليل من الشكر.

قال الإمام البقاعي: "ولما كان الإنسان، لما له من النقصان، لا ينفك غالبًا عن كفر ما، أتى بصيغة المبالغة؛ تنبيهًا له على ذلك، معرفًا له أنه لا يأخذه إلا بالتوغل فيه ليعرف نعمة الحلم عنه، فيحمله الخجل على الإقبال على من يرضى منه بقليل الشكر، ويحتمل أن يفهم ذلك أن من كفر نعمة واحدة فقد كفر الجميع فصار بليغ الكفر فقال: ﴿ وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ أي: بليغ الكفر بالإعراض والتكذيب وعبادة الغير والمعاندة فإحسانه غير موف وإساءته مفرطة، وبدأ بالشكر لأنه الأصل"[1].

وقال الإمام/ محمد سيد طنطاوي: "ولما كان الشكر قل من يتصف به، كما قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، جاء التعبير بقوله سبحانه: ﴿ شَاكِرًا﴾ بصيغة اسم الفاعل. ولما كان الجحود والكفر يعم أكثر الناس، جاء التعبير بقوله تعالى: ﴿كَفُورًا﴾ بصيغة المبالغة.. والمقصود من الآية الكريمة: قفل الباب أمام الذين يفسقون عن أمر ربهم، ويرتكبون ما يرتكبون من السيئات.. ثم بعد ذلك يعلقون أفعالهم هذه على قضاء الله وقدره، ويقولون- كما حكى القرآن عن

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٢١/ ١٣٣-١٣٤).

المشركين-: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]"[١].

ومن الآيات التي اشتملت – أيضًا – على المقابلة بين الشكر والكفر ما جاء في سورة النمل على لسان سيدنا سليمان عليه السلام حين جاءه عرش بلقيس ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠]. حينها قال سيدنا سليمان عليه السلام عن النعمة التي تلقاها: "هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر". يوضح سليمان عليه السلام أن هذه النعمة هي فضل من الله محض، لا استحقاق شخصي، وأنها اختبار ليرى؛ هل سيشكر ويؤدي حق النعمة، أم يكفر ويجحد ويغتر، ويضيف أن من يشكر، فإنما يشكر لنفسه؛ لأن ثمرة الشكر تعود عليه بزيادة النعم، مصداقًا لقوله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم". أما من يكفر، فضرره يعود عليه وحده، ولا ينقص ذلك من فضل الله وكرمه شيئًا؛ فالله غني عن شكر العباد[٢].

والخلاصة: أن أسلوب المقابلة بين الشكر والكفر في القرآن الكريم يظهر بوضوح التناقض الحاد بين الشكر وأهميته والكفر وعواقبه .. بين حال الشاكر وحال الكفور. فالأول مُهتدٍ ومُثاب، والثاني ضال ومعاقب. هذا التضاد يُلفت الانتباه ويُحفز على التفكير في عواقب كل خيار.

الشكر سمة الأنبياء والصالحين: (١- **نوح عليه السلام العبد الشكور**)

ومن أساليب القرآن في الحث على شكر النعم: ذكر نماذج للشاكرين من الأنبياء والصالحين، ليكونوا قدوة للناس في شكر الله .. ومن هؤلاء الأنبياء الذين مدحهم الله على شكرهم: نبي الله نوح عليه السلام، حيث أثنى عليه في كتابه العزيز، ووصفه بالعبد الشكور في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

قال العلامة أبو السعود: ﴿ إِنَّهُ ﴾ أي: أن نوحًا عليه السلام ﴿ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ كثير الشكر في مجامع حالاته، وفيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة

---

(١) التفسير الوسيط، طنطاوي (١٥/ ٢١٦).

(٢) زهرة التفاسير (١٠/٥٤٥٦) بتصرف.

شكره عليه السلام، وحث للذرية على الاقتداء به، وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفران ..."[١].

وقال الأستاذ أحمد المراغي: "﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أي: يا سلالة ذلك النبي الكريم الذي شمله الله بجميل رعايته، وأنجاه من غرق الطوفان، بما ألهمه من عمل السفينة التي حمل فيها من كل زوجين اثنين، أنتم من حفدة أبنائه، فتشبهوا بأبيكم، واقتدوا به، فإنه كان عبدًا شكورًا، أي: مبالغًا في الشكر، بصرفه كل ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله، فاللسان لذكر الله، والعقل للفكر فيما خلق الله، والبصر للتأمل فيما صنع الله، وهكذا بقية الحواس وأعضاء الجسم"[٢].

٢- إبراهيم عليه السلام نموذج الشاكر لأنعم الله

كذلك من الأنبياء الذين أثنى الله عليهم لشكرهم وامتنانهم لنعمه، خليل الله إبراهيم عليه السلام، فقد وصفه الله تعالى بقوله: (شاكرًا لأنعمه)، وامتدحه بذلك، ثم اختاره وهداه إلى الصراط المستقيم .. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝١٢١ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٢٢﴾[النحل: ١٢٠-١٢٢]

يقول الدكتور/ وهبة الزحيلي: "وصف الله تعالى في هذه الآيات إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء وأب الأنبياء بتسع صفات وهي:

١- أنه كان أمة، أي رجلًا جامعًا للخير والصفات الحميدة ومعلمًا الخير، كالناس الكثير.

٢- وكان قانتًا لله، أي خاشعًا مطيعًا لله تعالى.

٣- وكان حنيفًا، أي مائلًا عن الشرك والباطل، وداعيًا للتوحيد ومؤمنًا به.

٤- ولم يكن من المشركين، بل كان من الموحدين في الصغر والكبر.

٥- وكان شاكرًا لأنعم الله عليه، أي جميع نعم الله عليه، قليلها وكثيرها.

٦- اجتباه ربه، أي: اختاره واصطفاه للنبوة.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٥/ ١٥٦).

(٢) تفسير المراغي (١٥/ ١٣).

٧- وهداه الله إلى صراط مستقيم، أي وفقه في الدعوة إلى الله إلى طريق قويم.

٨- وآتاه الله في الدنيا حسنة، أي: حببّه إلى جميع الخلق، فكل أهل الأديان يقرون به، ويعظمونه، سواء المسلمون واليهود والنصارى. فالحسنة: لسان الصدق وإمامته بجميع الخلق.

٩- وإنه في الآخرة في زمرة الصالحين، تحقيقًا لدعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]"[١].

٣- سيدنا محمد ﷺ أسوة الشاكرين

كان النبي محمد ﷺ القدوة الأعظم في الشكر والامتنان لله تعالى، فقد أمره الله ﷻ بالعبادة المطلقة وأن يكون من الشاكرين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]. قال الإمام/ محمد سيد طنطاوي: "قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أمر منه تعالى بالثبات على عبادة الله تعالى وحده، وبالمداومة على شكره، ونهى عن طاعة المشركين ... أي: لا تطع- أيها الرسول الكريم- المشركين فيما طلبوه منك، بل اجعل عبادتك لله تعالى وحده، وكن من الشاكرين له على نعمه التي لا تحصى"[٢].

وقد التزم النبي ﷺ أمر ربه، حتى كان أعبد الناس لربهم، وأشدهم شكرًا، حتى قال حين سُئل عن اجتهاده الشديد في العبادة، رغم أن الله ﷻ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أجاب ﷺ بكلماته الخالدة التي تعكس عمق شكره: «أفلا أكون عبدًا شَكورًا؟»[٣].

٤- الشكر من صفات الصالحين

صفة الشكر من الصفات المحمودة التي أثنى الله بها على أنبيائه وأوليائه على حد سواء، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ

---

(١) التفسير الوسيط، الزحيلي (٢/١٣١٥-١٣١٦).

(٢) التفسير الوسيط، طنطاوي (١٢/ ٢٤٦) باختصار.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (ك) التهجد، (ب) قيام النبي ﷺ الليل حتى تتورم قدماه، (٢/٥٠)، حديث رقم (١١٣٠).

كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف:١٥]. ففي هذه الآية، يُبرز النموذج المثالي للعبد الشاكر، لا سيما عند بلوغ الإنسان سن النضج (أربعين سنة)، وهي السن التي تمثل اكتمال العقل والرشد. في هذه المرحلة، يظهر الوعي الكامل للنعم الإلهية، ما يدفع الإنسان إلى الدعاء بطلب الإعانة على شكر النعمة، والعمل الصالح، والإصلاح في الذرية، والتوبة، والتمسك بالإسلام.

قال الحافظ ابن كثير: "﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ أي: أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما ... ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ أي: قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعبًا، من وحام وغشيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة، ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾ أي: بمشقة أيضًا من الطلق وشدته ... ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي: قوي وشب وارتجل ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه. ويقال: إنه لا يتغير غالبًا عما يكون عليه ابن الأربعين. ... ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ أي: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ أي: في المستقبل، ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ﴾ أي: نسلي وعقبي، ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله ﷻ ويعزم عليها"[1].

والخلاصة: أن هذه الآية الكريمة تبين كيف يدعو الإنسان الصالح ربه أن يلهمه الشكر على النعم التي أنعم بها عليه وعلى والديه، وأن يوفقه لعمل الصالحات. وهذا يدل على مكانة الشكر في حياة المؤمنين، وكونه من صفات المقربين الذين يسعون لرضا الله ودوام نِعَمه عليهم.

المطلب الثالث: ثمار الشكر وآثاره

للشكر في الإسلام منزلة عظيمة، فهو ليس مجرد قول باللسان، بل اعتراف قلبي بنعم الله تعالى يتبعه عمل بالجوارح، وهو من أسمى العبادات التي تقرب العبد إلى ربه، وله ثمار يانعة وآثار طيبة تعود بالنفع العميم على الشاكر في الدنيا والآخرة، وفيما يلي نذكر أبرز هذه الثمار:

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/ ٢٧٩-٢٨١) باختصار.

فائدة الشكر وثمرته تعود على الشاكر نفسه

أول ثمار الشكر وآثاره أن فائدة الشكر وثمرته تعود على الشاكر نفسه، فالله ﷻ غنيٌ عن شكر العباد، لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين، وإنما الشكر يزيد العبد قربًا ورفعةً وأجرًا. كما قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

زيادة النعم:

ومن أهم ثمار الشكر وآثاره – أيضًا–: زيادة النعم وتكثيرها، كما وعد الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ...﴾ [إبراهيم: ٧]، فالآية الكريمة تُبين العلاقة الطردية بين الشكر وازدياد النعم. هذه الزيادة لا تقتصر على الجانب المادي فحسب، بل تمتد إلى نعم الإيمان والطمأنينة والبركة في العمر والعمل، والتوفيق في الأمور كلها. وقد سبق تفصيل ذلك في المطلب السابق، تحت عنوان (الشكر وعد إلهي بزيادة العطاء)، مما يؤكد أن الشكر باب عظيم من أبواب الخير، وسببٌ مباشر لاستمرار النعم وازديادها.

الجزاء العظيم من الله تعالى

يعد الشكر من أهم أسباب نيل الأجر العظيم والثواب الجزيل من الله ﷻ، وقد تكفل الله ﷻ به ولم يبين مقداره؛ إشارةً إلى عِظَم هذا الأجر وسعته، وتأكيدًا منه سبحانه على أنه سيجازي الشاكرين بما يليق بفضله وكرمه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ۚ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤–١٤٥]. قال الحافظ ابن كثير: "لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وقُتل من قُتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قتل. ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلت محمدًا. وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ، فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله قد قتل، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قص الله

عن كثير من الأنبياء، عليهم السلام، فحصل وهن وضعف وتأخر عن القتال ففي ذلك أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ أي: له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه ... ثم قال تعالى منكرًا على من حصل له ضعف: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ أي: رجعتم القهقري ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ أي: الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله حيًا وميتًا ... ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ﴾ أي: لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له؛ ولهذا قال: ﴿كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ﴾ ... ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي: من كان عمله للدنيا، فقد نال منها ما قدره الله له، ولم يكن له في الآخرة من نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة، أعطاه الله منها مع ما قسم له في الدنيا ... ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ أي: سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم"[1].

هذا، ومن خلال تدبر هاتين الآيتين نلاحظ ما يلي:

١- أن الآيتين نزلتا عقب غزوة أُحد، حين أُشيع خبر موت النبي ، فوقع الوهن والضعف في صفوف المسلمين؛ فجاءتا لتأكيد الثبات على الدين، والتذكير بأن الموت قضاء محتوم، وأن الجزاء الأوفى يكون للشاكرين الصابرين.

٢- أن ختام الآية الأولى جاء بلفظ: (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) بإظهار لفظ الجلالة (الله)؛ مما يدل على كمال قدرته وعظيم فضله، ويؤكد أن جزاء الشكر موكول إلى الله وحده، الذي لا يضيع أجر من أحسن عملًا .. أما الآية الثانية، فخُتمت بقوله: (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ) باستخدام نون العظمة، الدالة على التوكيد والتعظيم، إشارة إلى رفعة مقام الشاكرين، وسَعة العطاء الإلهي لهم في الدنيا والآخرة .. وهذا التنويع الأسلوبي في ختام الآيتين يؤكد عظم الجزاء المعد للشاكرين، وتعدد ألوان الثواب

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/ ١٢٨-١٣٠) باختصار.

الذي يشمل خيري الدنيا والآخرة.

رضا الله تعالى ومحبته للشاكرين

الشكر يجلب رضا الله ﷻ، وهو من أعظم المطالب التي يسعى إليها المؤمن، قال تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧].

فالآية الكريمة: تُبين أن الله غني عن عباده، لا يرضى لهم الكفر، ويجازي المؤمنين بالنعيم والكافرين بالجحيم .. ومن يشكر الله ﷻ بإخلاص العبادة واستعمال النعم في طاعته، يرضَ عنه ويزيده من فضله وإحسانه .. فالشكر مفتاح رضا الله، ودليل على معرفة العبد بربه، وسبب لمحبة الله وطمأنينة القلب.

قال العلامة أبو السعود: "﴿إِن تَكۡفُرُواْ﴾ به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ﴾ أي: فاعلموا أنه تعالى غني عن إيمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ أي: عدم رضاه بكفر عباده؛ لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم، لا لتضرره تعالى به ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ أي: يرض الشكر لأجلكم ومنفعتكم؛ لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين، لا لانتفاعه تعالى به"[1].

النجاة من العذاب

من آثار الشكر – كذلك – أنه سبب في دفع البلاء والعذاب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٤٧]. فالآية الكريمة تؤكد أن الشكر مع الإيمان يرفع العقوبة، ويجلب الرحمة الإلهية، مما يدل على مكانة الشكر في دفع الضرر وجلب الخير.

والمراد بالاستفهام هنا النفي والإنكار، أي: أيّ منفعة لله – سبحانه – في عذابكم إن شكرتم نعمه، وآمنتم به حق الإيمان؟ لا شك أنه لا يعذب ما دام

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٧/ ٢٤٤).

الشكر والإيمان واقعين، فقد اقتضت حكمته أن لا يعذب إلا من يستحق. بل قد يتجاوز عن كثير من الذنوب رحمة وفضلًا. وقدَّم الشكر على الإيمان لأن الشكر سبب فيه، إذ التفكر في النعم يقود إلى الإيمان، والإيمان إذا استقر أورث أعظم الشكر. وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ تذييل لتأكيد أن الله ﷻ لا يعذب الشاكرين المؤمنين، بل يثيبهم على طاعتهم. فهو (شاكِرٌ): أي مثيب، و(عليمٌ): أي مطّلع على أقوالهم وأفعالهم، وسيجازي كل إنسان بما يستحقه. وسمّى ثواب الطائعين شكرًا منه، للتنويه بشأن الطاعة، وتشريفًا للمطيع، وتعليمًا للعباد شكر المحسنين، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله[1].

خاتمة المطلب:

يتضح مما سبق: أن الشكر عبادة عظيمة ذات ثمار عظيمة في الدنيا والآخرة، تنعكس على الفرد والمجتمع، وتؤدي إلى تحقيق الرضا الإلهي وزيادة النعم ودفع البلاء. لذا فإن من الواجب على المسلم أن يتحلى بهذه العبادة، وأن يربي نفسه وأبناءه على استشعار نعم الله وشكره عليها قولًا وعملًا.

---

(1) التفسير الوسيط، طنطاوي (٣/٣٦٢-٣٦٣) بتصرف.

المبحث الثالث

كفر النعمة

المطلب الأول: تعريف الكفر

قال العلامة ابن فارس: "الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية. يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه. والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه ... ويقال للزارع كافر، لأنه يغطي الحب بتراب الأرض. قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠]"[١].

وقال العلامة ابن منظور: "الكُفر: نقيض الإيمان؛ آمنا بالله وكفرنا بالطاغوت؛ كفر بالله يكفر كُفرًا وكُفورًا وكُفرانًا. ويقال لأهل دار الحرب: قد كفروا أي: عصوا وامتنعوا. والكُفر: كفر النعمة، وهو نقيض الشكر. والكفر: جحود النعمة، وهو ضد الشكر. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾ أي: جاحدون. وكفر نعمة الله يكفرها كُفورًا وكُفرانًا وكفر بها: جحدها وسترها"[٢].

وقال أبو هلال العسكري: "الكفر أصله التغطية، ويقال: لليل كافر؛ لأنه يغطي كل شيء بظلمته، وكفر الغمام النجوم سترها، والكافر الذي لبِس فوق درعه ثوبًا، والزارع كافر؛ لأنه يغيب البذر في الأرض، وكفر النعمة إذا لم يشكرها كأنَّه سترها، ويقال: لوعاء كل ثمرة كافور، لأنه يغطيها، ويقال للطلع الكافور؛ لأنه في غطاء، ويكفر الذنوب: يسترها كالغفران، ومعنى ذلك أن الله لا يفضح أصحابها بها.

<u>والكفر في القرآن على ثلاثة أوجه:</u>

الأول: الجحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٢١]، أي: يجحدونها، والجحد لا يكون إلا مع العلم ...

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (كفر)، (٥/ ١٩١) باختصار.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (كفر)، (٥/ ١٤٤).

الثاني: كفر النعمة، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، وكقول فرعون لموسى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩]، أي: لنعمتي.

الثالث: بمعنى البراء، قال تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة:٤]، وقال: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾[العنكبوت: ٢٥]، وقال في: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ أي: تبرأت"[(١)].

وقال ابن الجوزي: " ذكر أهل التفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه: أحدها: الكفر بالتوحيد، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾، وفي الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو الأعم في القرآن.

والثاني: كفران النعمة، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، وفي النمل: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ .

والثالث: التبري، ومنه قوله تعالى في العنكبوت: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾، أي: يتبرأ بعضكم من بعض. وفي الممتحنة: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾.

والرابع: الجحود، ومنه قوله تعالى في البقرة:﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾.

والخامس: التغطية، ومنه قوله تعالى في الحديد: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾، يريد الزراع الذين يغطون الحب"[(٢)].

- **من خلال ما سبق يتبين لي: أن أصل كلمة (كفر) في اللغة العربية يعود إلى معاني الستر والتغطية .. وقد تطور هذا المعنى اللغوي**

---

(١) الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري، (ص: ٤٠٩-٤١٠).

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي (ص: ٥١٦-٥١٧).

ليشمل استخدامات اصطلاحية أوسع، أهمها:

١-كفر الملة: وهو نقيض الإيمان، ويعني جحد الحقائق الإيمانية وإنكارها، وبالتالي سترها وإخفاءها عن الظهور.

٢-كفر النعمة: وهو نقيض الشكر، ويعني جحد النعم وعدم الاعتراف بها أو عدم شكرها، كأن الشخص يُخفي أو يُنكر فضلها.

- هذا، وكفر النعمة يكون بواحدة من عدة أشياء[1]:

١.منها: أن ينكر أنها من الله تعالى، أو ينسبها إلى غير المتفضل بها كما يفعل أهل الشرك إذ يشكرون أندادهم وأصنامهم على ما أنعم به الله عليهم.

٢.ومنها: أن يعتقد أنه حصل ما حصل من النعم بحوله وقوته، أو كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨] .

٣.ومنها: أن يعتقد أن ما حصل له من النعم حصل باستحقاق له على الله، لا من فضل الله عليه.

٤.ومنها: ترك الثناء بها على المنعم بها.

٥.ومنها: التعالي بها على سائر عباد الله والزهو والمكاثرة والبغي والمفاخرة.

٦.ومنها: استعمالها في معصية الله تعالى، ومنع الحقوق الشرعية الواجبة فيها.

المطلب الثاني: منهج القرآن في التحذير من كفر النعمة وبيان عواقبه

حذر القرآن في كثير من آياته من كفر النعمة، وساق العديد من القصص القرآني ليبين آثار كفر النعمة وعواقبه الوخيمة على الأفراد والمجتمعات بهدف العبرة والعظة، وفيما يلي لمحة موجزة عن أربعٍ من هذه القصص البارزة:

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٦/١٨٠) بتصرف.

قصة سبأ

(أنموذج لسقوط الحضارات بسبب كفر النعمة)

تُعد قصة سبأ مثالًا حيًا على كيفية تحول النعمة إلى نقمة بسبب الكفر بها؛ حيث كانت سبأ أمة عظيمة مباركة، تتمتع بحدائق غناء وجنتين عن يمين وشمال، ووفرة في الرزق، وأمن واطمئنان. هذه النعم كانت دليلًا على قدرة الله على مكافأة الطائع ومعاقبة العاصي. لكن قوم سبأ أعرضوا عن شكر الله وطاعته، فكان عقابهم شديدًا؛ إذ أرسل الله عليهم (سيل العرم) وهو سيل مدمر اجتاح بساتينهم وديارهم. وتبدلت تلك الجنات الخضراء ببساتين قاحلة لا تثمر إلا (أُكل خمط) ثمار مرة بشعة، (وأثل وشيء من سدر قليل) وهي أشجار ذات أشواك أو لا فائدة من ثمرها. هذا التغيير كان جزاءً لإعراضهم وعصيانهم، فأصبحوا عبرة لمن يعتبر.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ:١٥-١٩]

قال الأستاذ/ محمد عزت دروزة: "في هذه الآيات إشارة إلى سبأ وما كان من أمر أهلها. فقد يسر الله لهم رغد العيش في مسكنهم، وكانت لهم جنات عن اليمين وعن الشمال ليأكلوا من رزق ربهم ويشكروا له نعمه، فبلدتهم طيبة الرزق وربهم غفور. ولكنهم أهملوا واجب الشكر وكفروا بنعمة الله فعاقبهم الله على جري عادته، فأرسل عليهم سيل العرم، فاجتاح جناتهم وخربها وبدلها بجنات من أشجار كريهة المنظر كثيرة الشوك مرة الطعم من الخمط والأثل

والسدر. ولقد كان من نعمة الله عليهم أن جعل العمران متصلًا بين بلادهم والبلاد التي بارك فيها بقرى ظاهرة متتابعة بحيث يستطيعون أن يسيروا ليالي وأيامًا آمنين شر أخطار الأسفار ومشاقها، فلم يقدروا هذه النعمة أيضًا حق قدرها ... فمزقهم الله في الأرض كل ممزق، وجعلهم أحاديث الناس وموضوع نقدهم وتثريبهم ومضرب مثلهم. وقد انتهت الآيات بتقرير رباني بأن في كل ذلك آيات وعبرًا لا يدرك مغزاها ولا ينتفع بها إلا كل صبار ثابت على الإخلاص لله، شاكر لنعمه وأفضاله قولًا وعملًا"[1].

ومن الفوائد والدروس المستفادة من قصة سبأ ما يلي:

١- الترابط السياقي بين القصص (مناسبة القصة لما قبلها): جاءت قصة سبأ في سياق متكامل يبرز المقارنة بين من يشكر نعم الله ومن يكفر بها. فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى حال الشاكرين لنعمه المنيبين إليه، وهما (داود وسليمان عليهما السلام)، ذكر نموذجًا مضادًا يتمثل في قوم سبأ الذين كفروا بنعم الله، فأعرضوا عن ذكره وشكره، فحل بهم العقاب في سياق يتجلى فيه عاقبة الكفران مقابل جزيل الشكر.

٢- دلالات القسم والتأكيد في قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ) حيث (اللام الموطئة للقسم) أي: والله لقد كان لقوم سبإ في موضع سكانهم باليمن آية عظيمة دالة على قدرة الله وعدله. حيث كانوا في رخاء ونعيم، فلما جحدوا النعمة، أزال الله عنهم ذلك الفضل، فانهار ملكهم، وتفرّق شملهم، وأصبحوا عبرة لمن يعتبر. وهذا يدل على أن التمتع بالنعم مشروط بالشكر والطاعة.

٣- المقابلة بين الشكر والكفر: بينت القصة العلاقة بين شكر النعمة وكفرها، من خلال المقابلة بين قوله تعالى: (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ

---

(1) التفسير الحديث (٤/ ٢٧٤-٢٧٥) باختصار.

غَفُورٌ)، وبين قوله: (فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ...) (ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ)، مما يؤكد أن الشكر أساس بقاء النعم ودوامها، بينما كفر النعم سبب مباشر في زوالها.

٤- العبرة في قصص السابقين: جعل الله قصة سبأ "أحاديث" أي مضرب مثل يتداولها الناس للعبرة، لا يستفيد منها إلا من جمع بين الصبر على الطاعة والشكر على النعمة. لذا خُتمت القصة بقوله تعالى: (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) إشارة إلى أن الصبور الشكور هو الأقدر على الاتعاظ والنجاة. فالقصة ليست مجرد سرد تاريخي، بل رسالة تحذيرية لمن غفل عن شكر نعم الله.

قصة القرية المذكورة في سورة النحل

(أنموذج لعاقبة الإعراض عن شكر النعمة)

يضرب الله مثلًا لقريةٍ أنعم عليها بالأمن والرزق الوفير، لكنها جحدت تلك النعم ولم تشكر ربها. فجاءها العقاب الإلهي جزاء ما اقترفت من كفر ونكران. فذاقت الجوع والخوف، بعد سعة العيش والطمأنينة. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

اختلف المفسرون في المراد بهذه القرية: فمنهم من يرى أن هذه القرية غير معينة، وإنما هي مثال عام لكل من كفر بنعم الله .. ومنهم من يرى أن المقصود بهذه القرية مكة تحديدًا .. ويُرجَّح القول الأول: تنكير لفظ "قرية"؛ فيتناول كل قرية بدلت نعمة الله كفرًا، ويدخل في ذلك كفار مكة دخولًا أوليًا. ولأنها ضربت مثلًا لمكة، ومثل مكة يكون غير مكة.

قال الإمام الرازي: "المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودًا، أو لم يكن موجودًا، وقد يضرب بشيء موجود معين،

فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيئًا مفروضًا، ويحتمل أن تكون قرية معينة، وعلى هذا التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل أن تكون مكة أو غيرها، والأكثرون من المفسرين على أنها مكة، والأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلا لمكة، ومثل مكة يكون غير مكة"[١].

"والمراد بالقرية: أهلها إذ هم المقصود من القرية ... والأمن: السلامة من تسلط العدو. والاطمئنان: الدعة وهدوء البال... وقدم الأمن على الطمأنينة؛ إذ لا تحصل الطمأنينة بدونه، كما أن الخوف يسبب الانزعاج والقلق"[٢].

قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ أي: جحدوا تلك النعم، ولم يقابلوها بالشكر، وإنما قابلوها بالإشراك بالله تعالى حيث أشركوا غيره في عبادته، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٣].

و(أنعم): جمع نعمة، وهو جمع قلة، واختيار جمع القلة هنا؛ للإشارة إلى أن كفران نعمة قليلة قد أوجب كل هذا العذاب، فما بالك بكفران نعم كثيرة.

قال الإمام الرازي: "الأنعم جمع نعمة مثل أشد وشدة، أقول هاهنا سؤال: وهو أن الأنعم جمع قلة، فكان المعنى: أن أهل تلك القرية كفرت بأنواع قليلة من النعم فعذبها الله، وكان اللائق أن يقال: إنهم كفروا بنعم عظيمة لله فاستوجبوا العذاب، فما السبب في ذكر جمع القلة؟

والجواب: المقصود التنبيه بالأدنى على الأعلى يعني أن كفران النعم القليلة لما أوجب العذاب، فكفران النعم الكثيرة أولى بإيجاب العذاب، وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا في الأمن والطمأنينة والخصب، ثم أنعم الله عليهم بالنعمة

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي (٢٠/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٤/ ٣٠٥) باختصار.

العظيمة، وهو محمد ﷺ فكفروا به وبالغوا في إيذائه فلا جرم سلط الله عليهم البلاء"[١].

وقال العلامة أبو السعود: "﴿فَكَفَرَتْ﴾ أي كفر أهلها ﴿بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ أي: بنعمه، جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع، أو جمع نعم: كبؤس وأبؤس، والمراد بها نعمة الرزق والأمن المستمر، وإيثار جمع القلة؛ للإيذان بأن كفران نعمة قلية حيث أوجب هذا العذاب، فما ظنك بكفران نعم كثيرة"[٢].

قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾: جعل الجوع والخوف وكأنهما لباس يلبسه الإنسان؛ للدلالة على أنهما أحاطا بهم إحاطة اللباس بالجسم، وأصبحا ملازمين لهم بعد أن كانوا يعيشون في أمن ورزق وفير.

قال الشيخ الشعراوي: قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾: من الذوق، نقول: ذاق وتذوق الطعام إذا وضعه على لسانه وتذوقه. والذوق لا يتجاوز حلمات اللسان. إذن: الذوق خاص بطعم الأشياء، لكن الله سبحانه لم يقل: أذاقها طعم الجوع، بل قال: ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾: فجعل الجوع والخوف وكأنهما لباس يلبسه الإنسان، والمتأمل في الآية يطالع دقة التعبير القرآني، فقد يتحول الجوع والخوف إلى لباس يرتديه الجائع والخائف، كيف ذلك؟

الجوع يظهر أولًا كإحساس في البطن، فإذا لم يجد طعامًا عوض من المخزون في الجسم من شحوم، فإذا ما انتهت الشحوم تغذى الجسم على اللحم، ثم بدأ ينحت العظام، ومع شدة الجوع نلاحظ على البشرة شحوبًا، وعلى الجلد هزالًا وذبولًا، ثم ينكمش ويجف، وبذلك يتحول الجوع إلى شكل خارجي على الجلد، وكأنه لباس يرتديه الجائع.

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي (٢٠/ ٢٧٩).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؛ أبو السعود (٥/ ١٤٥).

وتستطيع أن تتعرف على الجوع ليس من بطن الجائع، ولكن من هيئته وشحوب لونه وتغير بشرته ... وكذلك الخوف وإن كان موضعه القلب، إلا أنه يظهر على الجسم كذلك، فإذا زاد الخوف ترتعد الفرائص، فإذا زاد الخوف يرتعش الجسم كله، فيظهر الخوف عليه كثوب يرتديه. وهكذا جسد لنا التعبير القرآني هذه الأحاسيس الداخلية، وجعلها محسوسة تراها العيون، ولكنه أدخلها تحت حاسة التذوق؛ لأنها أقوى الحواس.

وفي تشبيه الجوع والخوف باللباس ما يوحي بشمولهما الجسم كله، كما يلفه اللباس، فليس الجوع في المعدة فقط، وليس الخوف في القلب فقط ... وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: أن الحق سبحانه ما ظلمهم وما تجنى عليهم، بل ما أصابهم هو نتيجة عملهم وصدودهم عن سبيل الله، وكفرهم بأنعمه، فحبسها الله عنهم.."[١].

والخلاصة: أن في هذه الآية توجيه عظيم وعظة مستمرة للمجتمعات، تدعوها إلى الالتزام بطاعة الله، وشكر نعمه والاعتراف بفضله، والابتعاد عن الظلم والفساد، فالشكرُ هو أساس دوام النعم وزيادتها، كما أن الجحودَ ونكران النعم سبب مباشر في زوالها.

قال الأستاذ محمد عزت دروزة: "وفي هذه الآية تلقين جليل وعظة اجتماعية مستمرة المدى، فأي مجتمع أراد أن يحتفظ بأسباب القوة والعزة والحياة المطمئنة والرزق الميسور عليه أن يلتزم حدود الله في الإخلاص له والعدل والإحسان وسائر الأعمال الصالحة، وأن يعترف بفضله ويداوم على ذكره وشكره وأن يبتعد عن كل ما فيه ظلم وإثم وبغي ومنكر وانحراف وإسراف. فإذا أخل بذلك اختلت شؤونه وانفرط كيانه وغدا عرضة للنوائب والكوارث" [٢].

---

(١) تفسير الشعراوي (١٣/٨٢٥٢-٨٢٥٤) باختصار.

(٢) التفسير الحديث، دروزة (٥/١٩٥).

قصة قارون:

(أنموذج حي لعاقبة كفر النعمة وجحود الفضل الإلهي)

في هذه القصة يُقدم القرآن الكريم نموذجًا حيًا لمن أتاه الله من فضله ونعمائه الكثير، لكنه قابل ذلك بالجحود والكبر، ونسب الفضل لنفسه وعلمه، مستكبرًا على آيات الله ومنكرًا نعمته.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٧٦ - ٨١].

والمعنى بإيجاز: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ **أي من بني إسرائيل الذين فُضلوا في زمانهم، وامتنّ الله عليهم بالكثير، فكانت حالهم مناسبة للاستقامة** ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ **ولكن قارون هذا بغى على قومه وطغى بما أوتيه من الأموال العظيمة المُطغية.** ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ ﴾ **شيئًا كثيرًا** ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ **أي: أن مفاتح خزائنه كانت تُثقل على الجماعة القوية عند حملها، فما بالك بالخزائن نفسها! إذ قال له قومه ناصحين ومحذرين له عن الطغيان:** ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ **أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة وتفتخر بها وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها.** ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ ﴾ **أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد**

نيل الشهوات وتحصيل اللذات ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: لا تنس نصيبك من الدنيا بالتمتع بالحلال دون إسراف، ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ... ﴾ وأحسن إلى عباد الله كما أحسن إليك، ولا تسعَ للفساد في الأرض بالتكبر أو الانشغال بالنعيم عن المنعم، فالله لا يحب المفسدين وسيعاقبهم. ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ... ﴾ لم يستجب قارون لنصح قومه الذين وعظوه بوجوب شكر النعمة وردّها إلى الله، بل نسب ما أُوتي من كنوز إلى علمه وقدرته، متجاهلًا أن الله قد أهلك من قبله من هو أشد بطشًا وأكثر جمعًا، ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ والمجرمون لا يسألون عن ذنوبهم لعلمه تعالى بها، فيدخلون النار بغير حساب، وإنما يسألون سؤال توبيخ.. ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ... ﴾ فخرج على قومه في زينته مريدًا إظهار عظمته، فافتتن به أهل الدنيا وتمنوا أن يكون لهم مثل حظه، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ... ﴾ بينما ردّ العلماء عليهم بأن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا، ولا يوفَّق لقبول هذه النصيحة إلا من جاهد نفسه وصبر، ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ فكانت عاقبته أن خسف الله به وبداره الأرض بما فيها من أموال وزينة ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ فلم يكن له أنصار يمنعونه من عذاب الله، ولم يكن يستطيع أن ينتصر لنفسه [١].

هذا، ومن العبر والدروس المستفادة من قصة قارون ما يلي [٢]:

١- ذم الكبر والبطر: يحذر الله تعالى من الفرح بالمال والاغترار به، مؤكدًا أنه لا يحب المتكبرين.

---

(١) انظر: تفسير الكريم الرحمن، السعدي (ص:٦٢٣-٦٢٤) بتصرف، والمنتخب في تفسير القرآن (٥٨٧-٥٨٨) بتصرف.

(٢) انظر: التفسير الحديث (٣/٣٤٤-٣٤٥) بتصرف.

٢- شكر النعم: يجب على من أنعم الله عليهم بالثراء شكر الله على نعمه وعدم جحدها أو استخدامها في الفساد، وتذكر مصير الأمم السابقة التي جحدت وبطرت.

٣- الاعتدال والإحسان: على الأغنياء أن يسعوا في سبيل القصد، ويتمتعوا بالعيش دون إسراف، وأن يساعدوا المحتاجين ويحسنوا إليهم، مع تذكر يوم الحساب.

٤- القناعة والصبر: ينبغي للفقراء ألا يتطلعوا إلى الثراء بأي وسيلة كانت، بل عليهم التحلي بالقناعة والصبر، والإيمان بأن ثواب الله خيرٌ وأبقى.

٥- دور العلماء في توجيه الناس نحو القيم الحقيقية: قام أهل العلم بواجبهم بتنبيه من تمنوا ثراء قارون إلى أن ثواب الله بالإيمان والعمل الصالح خيرٌ وأبقى.

٦- عاقبة الطغيان والفساد: بينت القصة أن الله تعالى عاقب قارون بسبب بغيه وفساده، مما كان له بالغ الأثر على من كانوا يتمنون مثل ما أُوتي، إذ أدركوا أن الثراء قد يكون فتنة وابتلاء، وليس بالضرورة دليلًا على الخير أو النجاح.

٧- بشارة للمتقين: ختمت القصة ببيان أن المتقين الذين يجتنبون الفساد والعلو في الأرض لهم العاقبة الحسنى في الآخرة، بينما لا يفلح الكافرون أبدًا. مما يعزز الإيمان بميزان العدالة الإلهية.

- والخلاصة: تحمل قصة قارون منظومة متكاملة من القيم الأخلاقية والوعظية التي تبقى صالحة لكل زمان ومكان، فهي تُشجع على التواضع، شكر النعمة، القناعة، الإحسان، والعمل الصالح، وتُحذر من البطر، الفساد، والطغيان. وهي بذلك تساهم في بناء مجتمع تسوده الأخلاق الحميدة والعدل الاجتماعي والتقوى.

قصة صاحب الجنتين المذكورة في سورة الكهف

(أنموذج لغرور الإنسان بما عنده ونسيان المنعِم)

في هذه القصة يُقدم القرآن الكريم نموذجًا حيًا لرجلٍ أنعم الله عليه بجنتين عظيمتين، أحاطهما بالنخيل، وجعل بينهما زرعًا وفيرًا ... ومع عِظم النعمة، كفر هذا الرجل بفضل الله عليه، وتكبر على صاحبه، وأنكر البعث والحساب، فكانت عاقبته أن زالت عنه النعمة، وأصبح نادمًا حين لا ينفع الندم. قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ٤٣ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ [الكهف: ٣٢-٤٤].

والمعنى بإيجاز: يقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: اضرب للناس مثل رجلين، أحدهما شكر نعمة الله، والآخر كفر بها، فانظر ما صدر عن كل منهما، وما آل إليه حالهما.. فأحد هذين الرجلين الكافر لنعم الله الجليلة، جعل الله له جنتين من أعناب، أحاطهما بنخل، وجعل بينهما زرعًا، وفجّر خلالهما نهرًا، فآتت كلتاهما أكلها بغير نقصان، وكان له ثمر كثير. ومع هذا، تكبّر على صاحبه المؤمن وقال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ثم دخل جنته وهو في غاية الغرور والكبر، وظلم نفسه بكفره، وقال: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ وحتى

على سبيل الفرض لو قامت الساعة، قال في ضلاله: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ مرجعًا أنقلب إليه، بدلًا مما كنت فيه، وقد اشتمل كلامه هذا على عدة مؤكدات، هي: (اللام الأولى الممهدة للقسم، واللام الثانية جواب القسم، ونون التوكيد في جواب القسم (لأجدن)).

قال العلامة أبو السعود: "ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاد أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه في الدنيا؛ لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه، ولم يدر أن ذلك استدراج"[1].

فرّد عليه صاحبه المؤمن بكلمات الإيمان والنصيحة، مستنكرًا كفره: ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾؟ وأكد إيمانه قائلًا: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ ثم وجه إليه نصيحة عظيمة: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ وحذره من عاقبة كفره، قائلًا: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٤٠ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ فكان ما حذر منه المؤمن، تحققت المفاجأة وتحول مشهد البهجة والازدهار إلى دمار شامل. أُحيط بثمر الرجل الكافر، وهلكت جنته بالكلية. فأصبح يقلب كفيه ندمًا وحسرة على ما أنفق فيها، وهي خاوية على عروشها ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾.

قال فضيلة الإمام/ محمد سيد طنطاوي: "والمتدبر لهذه الآية الكريمة يراها قد صورت فجيعة الرجل الجاحد في جنته تصويرًا واقعيًا بديعًا. فقد جرت عادة الإنسان أنه إذا نزل به ما يدهشه ويؤلمه. أن يعجز عن النطق في أول وهلة. فإذا ما أفاق من دهشته بدأ في النطق والكلام. وهذا ما حدث من ذلك الرجل-

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (٥/ ٢٢٢).

كما صوره القرآن الكريم- فإنه عند ما رأى جنته وقد تحطمت أخذ يقلب كفيه حسرة وندامة دون أن ينطق، ثم بعد أن أفاق من صدمته جعل يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾، فيا له من تصوير بديع. يدل على أن هذا القرآن من عند الله تعالى. ثم ختم- سبحانه- هذه القصة ببيان عظيم قدرته ونفاذ إرادته فقال: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ٤٣ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ أي: ولم تكن لهذا الجاحد المغرور بعد أن خوت جنته على عروشها، عشيرة أو أعوان ينصرونه، أو يدفعون عنه ما حل به، وإنما القادر على ذلك هو الله تعالى وحده، وما كان هذا الرجل الذي جحد نعم ربه منتصرًا؛ لأنه سبحانه قد حجب عنه كل وسيلة تؤدى إلى نصره وعونه، بسبب إيثاره الغي على الرشد، والكفر على الإيمان"[1].

<u>والخلاصة:</u>

١- تعد قصة هذين الرجلين مثلًا بليغًا يُضرب للاعتبار والاتعاظ، يُصور حال الشاكر والكافر بنعم الله، وما يترتب على أفعالهما من ثواب أو عقاب.

٢- ليس في معرفة أعيان الرجلين، وفي أي: زمانٍ أو مكانٍ كانا، فائدة أو نتيجة؛ فالنتيجة تتحقق من قصتهما فقط، وأي تعرض لما سوى ذلك يعد من التكلف[2].

٣- ختمت القصة ببيان أن المتفرد بالولاية والقدرة هو الله وحده، فلا قوة إلا قوته، ولا نصر إلا نصره، ولا مستحق للعبادة أحد سواه، ولا ثواب أفضل من ثوابه، ولا عاقبة لأوليائه خير من العاقبة التي يقدرها لهم[3].

---

(١) التفسير الوسيط، طنطاوي (٥٢٢/٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٤٧٦) بتصرف.

(٣) التفسير الوسيط، طنطاوي (٥٢٤/٨) بتصرف بسيط.

خاتمة المطلب:

تظهر القصص القرآنية الأربعة المذكورة آنفًا صورًا متنوعة لكفر النعمة، سواء على مستوى الجماعات أو الأفراد، وتتراوح هذه الصور بين الإعراض عن شكر المنعم، والغرور والتكبر، وصولًا إلى إنكار فضل الله ونسبة النعم إلى الذات.

وتشكل العواقب الوخيمة التي لحقت بأصحاب هذه القصص تنبيهًا بالغًا إلى خطورة الجحود وكفر النعمة. ومن ثمَّ فإن هذه القصص تمثل دروسًا باقية في وجوب الشكر والامتنان، والتواضع أمام عطاء الله، والاعتراف بفضله، حفاظًا على النعم واستدامتها.

خاتمة البحث:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

- **أولًا: النتائج:**

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث، والوصول إلى خاتمته، وأشكره سبحانه وتعالى أن هداني ووفقني للكتابة في هذا الموضوع، ولقد توصلت إلى عدة نتائج من خلال هذا العمل المتواضع، وهي كالآتي:

١- **نعم الله على عباده كثيرة لا تعد ولا تحصى، وأعظم هذه النعم هي نعمة الإيمان، وهي الهداية إلى دين الله، وصولًا إلى النعم الظاهرة والباطنة التي يحيط بها الإنسان في حياته. مثل الصحة، والأمن، والسكن، والغذاء، والنعم الباطنة مثل العقل، والقلب، والإحساس. وكل هذه النعم تستدعي الشكر والحمد لله.**

٢- **وجوب شكر نعمة الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.**

٣- **الشكر وعد إلهي بزيادة العطاء فقد أمر الله به وجعله سببًا في دوام النعمة وزيادتها.**

٤- **تكرار عبارة (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) يُبرز ظاهرة عامة في طبيعة الإنسان، وهي قلة الاعتراف بالنعم ونسيان المُنعم.**

٥- **أسلوب المقابلة بين الشكر والكفر في القرآن الكريم يظهر بوضوح التناقض الحاد بين الشكر وأهميته والكفر وعواقبه .. بين حال الشاكر وحال الكفور. فالأول مُهتدٍ ومُثاب، والثاني ضال ومعاقب. هذا التضاد يُلفت الانتباه ويُحفز على التفكير في عواقب كل خيار.**

٦- **من خلال نماذج الشكر التي ذكرها الله في القرآن يتبين لي أن الشكر كان خلقًا ملازمًا للأنبياء والصالحين، وسبيلًا لنيل رضا الله وهدايته. فقد مدح الله تعالى نبيّه نوحًا بلقب "العبد الشكور"، وامتدح خليله**

إبراهيم على شكره لأنعمه، وأمر خاتم أنبيائه محمدًا أن يكون من الشاكرين، وجعل الشكر علامة على نضج المؤمن واستقامته.

٧- ومن خلال ما ورد في القصص القرآني من صور كفر النعمة، يتبيّن لي تعدّد مظاهر هذا الكفر، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات. فتارة يكون في صورة الإعراض عن شكر المنعم، وتارة في الغرور والتكبر، وتارة أخرى في إنكار فضل الله ونسبة النعمة إلى النفس. وتشكل العواقب الوخيمة التي لحقت بأصحاب هذه القصص تنبيهًا بالغًا إلى خطورة الجحود وكفر النعمة.

ثانيًا: التوصيات:

١- يحتاج هذا الموضوع إلى مزيد من العناية والدراسة.

٢- أوصي طلبة العلم بضرورة مواصلة البحث في موضوعات القرآن الكريم التي هي نبع فياض لا ينتهي بخيره وعطائه المتواصل.

٣- الاهتمام بدراسة القضايا التي تعالج مشكلات الأمة، وإيجاد حلول لها من خلال القرآن الكريم .

ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية:

- القرآن الكريم.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم؛ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- البرهان في علوم القرآن؛ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)؛ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، طبعة: الدار التونسية للنشر - تونس(١٩٨٤ هـ).
- التعريفات؛ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١ (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).
- التفسير الحديث؛ محمد عزت دروزة، طبعة: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة (١٣٨٣ هـ).
- تفسير القرآن العظيم؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م).
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ؛ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) ، تحقيق: د. مجدي

باسلوم ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ، ط١(١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).

- تفسير المراغي؛ أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١(١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م).
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج؛ د وهبة بن مصطفى الزحيلي، طبعة: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢(١٤١٨ هـ).
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ؛ محمد سيد طنطاوي ، طبعة: دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ط١، تاريخ النشر:(بين يناير ١٩٩٧ ومارس ١٩٩٨).
- التفسير الوسيط؛ د وهبة بن مصطفى الزحيلي، طبعة: دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- تهذيب اللغة؛ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ (٢٠٠١م).
- التوقيف على مهمات التعاريف؛ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، طبعة: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، ط١(١٤١٠هـ–١٩٩٠م).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، طبعة: مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م).
- جامع البيان في تأويل القرآن؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد

محمد شاكر، طبعة: مؤسسة الرسالة، ط١(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

- الجامع لأحكام القرآن؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصرية - القاهرة ، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).
- خواطر الشيخ الشعراوي؛ الشيخ/محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.
- روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، طبعة: مكتبة الغزالي - دمشق، (ط٣: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).
- زهرة التفاسير؛ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، طبعة: دار الفكر العربي.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه)؛ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١ (١٤٢٢هـ).
- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، طبعة: دار الصابوني- القاهرة، (ط١: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).
- القاموس المحيط ؛ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ، ط٨(١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى

الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، طبعة: مؤسسة الرسالة – بيروت.

- لباب التأويل في معاني التنزيل؛ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١-١٤١٥ هـ).
- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت.
- لسان العرب ؛ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، طبعة: دار صادر – بيروت، ط٣ (١٤١٤ هـ).
- مباحث في علوم القرآن؛ مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، طبعة: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح؛ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، طبعة: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥ (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥م).
- المعجم الوسيط؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر / محمد النجار)، طبعة: دار الدعوة.
- معجم مقاييس اللغة؛ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،

طبعة: دار الفكر(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن؛ حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)؛ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، (ط٣ - ١٤٢٠ هـ).
- المفردات في غريب القرآن؛ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، طبعة: دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، (ط١ - ١٤١٢ هـ).
- المنتخب في تفسير القرآن الكريم؛ لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبعة: مؤسسة الأهرام، ط١٨ (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، طبعة: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور؛ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، طبعة: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- الوجوه والنظائر؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، طبعة: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

•alquran alkarim.

•'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkutaab alkarim; 'abu alsueud aleimadii muhamad bin muhamad bn mustafaa (almutawafaa: 982hi) , tabeatun: dar 'iihya' alturath alearabii – bayrut.

•alburhan fi eulum alqurani; 'abu eabd allh badr aldiyn muhamad bin eabd allh bn bihadir alzarkashii (almutawafaa: 794hi), tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, altabeatu: al'uwlaa, 1376 hi – 1957 mu, dar 'iihya' alkutub alearabiat eisaa albabaa alhalabii washurakayihi.

•tahrir almaenaa alsadid watanwir aleaql aljadid min tafsir alkitaab almajid (altahrir waltanwiri); muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir bin eashur altuwnusii (almutawafaa: 1393hi), tabeatu: aldaar altuwnusiat lilnashr – tuns(1984 hi).

•altaerifati; ealiun bin muhamad bin ealiin alzayn alsharif aljirjanii (almutawafaa: 816hi), tabeatun: dar alkutub aleilmiat bayrut – lubnan, ta1 (1403h –1983mi).

•altafsir alhadithi; muhamad eizat diruzata, tabeata: dar 'iihya' alkutub alearabiat – alqahira (1383 hi).

•tafsir alquran aleazimi; 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar bn kathir alqurashii albasriu thuma aldimashqiu (almutawafaa: 774hi), tahqiqu: sami bin muhamad salamata, tabeatun: dar tiibat lilnashr waltawziei, ta2(1420h - 1999 mi).

•tafsir almatridi (tawilat 'ahl alsunati) ; muhamad bin muhamad bin mahmud, 'abu mansur almatridii (almutawafaa: 333hi) , tahqiqu: da. majdi baslum , tabeatun: dar alkutub aleilmiat - bayrut, lubnan , ta1(1426 hi - 2005 mi).

•tafsir almaraghi; 'ahmad bn mustafaa almaraghi (almutawafaa: 1371ha), sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabaa alhalabii wa'awladuh bimasri, ta1(1365 hu - 1946 mi).

•altafsir almunir fi aleaqidat walsharieat walmanhaji; d wahbat bin mustafaa alzuhayli, tabeatun: dar alfikr almueasir - dimashqa, ta2(1418 hi).

•altafsir alwasit lilquran alkarim ; muhamad sayid tantawii , tabeatu: dar nahdat masira, alfajaalat - alqahiratu, ta1, tarikh alnashri:(bin yanayir 1997 wamars 1998.

•altafsir alwasiti; d wahbat bn mustafaa alzuhayli, tabeatun: dar alfikr - dimashqa, altabeat al'uwlaa 1422hi.

•tahdhib allughati; muhamad bin 'ahmad bin al'azharii alharawi, 'abu mansur (almutawafaa: 370hi), tahqiq muhamad eawad mureibi, tabeata: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, tu1 (2001mi).

•altawqif ealaa muhimaat altaearifi; zayn aldiyn muhamad almadeui baeabd alrawuwf bin taj alearifin bin eali bin zayn aleabidin alhadaadii thuma alminawi alqahiriu (almutawafaa: 1031hi), tabeatu: ealam alkutub 38 eabd alkhaliq thuruat-alqahrat, ta1(1410h-1990ma).

•taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanani; eabd alrahman bin nasir bin eabd allh alsaedii (almutawafaa: 1376hi), tahqiqu: eabd alrahman bin maela, tabeatun: muasasat alrisalati, ta1(1420h -2000 mi).

•jamie albayan fi tawil alqurani; muhamad bin jarir bin yazid bin kathir bin ghalib alamli, 'abu jaefar altabari (almutawafaa: 310hi), tahqiqu: 'ahmad muhamad shakir, tabeatun: muasasat alrisalati, ta1(1420 hu - 2000 mi.)

•aljamie li'ahkam alqurani; 'abu eabd allh muhamad bin 'ahmad bin 'abi bakr bin farah al'ansarii alkhazrajii shams aldiyn alqurtibii (almutawafaa: 671hi), tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, tabeata: dar alkutub almisriat - alqahirat , (1384h - 1964 mi.(

•khawatir alshaykh alshaerawii; alshaykhu/muhamad mutwaliy alshaerawii (t: 1418ha), matabie 'akhbar alyawma.

•rawayie albayan tafsir ayat al'ahkami, muhamad ealii alsaabuni, tabeatun: maktabat alghazalii – dimashqa, (ta3: 1400 hi - 1980 mi).

•zahrat altafasira; muhamad bn 'ahmad bn mustafaa bin 'ahmad almaeruf bi'abi zahra (almutawafaa: 1394hi), tabeatun: dar alfikr alearabii.

•shih albukharii (aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah wasunanih wa'ayaamihu); muhamad bin 'iismaeil 'abu eabdallah albukhari, tahqiqu: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir, dar tawq alnajati, ta1 (1422h).

•shih muslim (almusnad alsahih almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allahi; muslim bn alhajaaj 'abu alhasan alqushayrii alnaysaburii (almutawafaa: 261hi), tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi, tabeata: dar 'iihya' alturath alearabii – bayrut.

•safwat altafasir, muhamad ealii alsaabuni, tabeatun: dar alsaabuni– alqahirati, (ta1: 1417 hi - 1997 mi.(

•alqamus almuhit ; majd aldiyn 'abu tahir muhamad bin yaequb alfayruz abadi (almutawafaa: 817hi), tabeatu:

muasasat alrisalati, bayrut – lubnan , ta8(1426 hi – 2005 mi).

•alkuliyaat muejam fi almustalahat walfuruq allughawiati, 'ayuwb bin musaa alhusaynii alqarimii alkafawi, 'abu albaqa' alhanafii (almutawafaa: 1094hi), tahqiqu: eadnan darwish – muhamad almasri, tabeatun: muasasat alrisalat – bayrut.

•lbab altaawil fi maeani altanzili; eala' aldiyn ealiin bin muhamad bin 'iibrahim bin eumar alshiyhi 'abu alhasani, almaeruf bialkhazin (almutawafaa: 741hi), tabeatun: dar alkutub aleilmiat – bayrut, (ta1–1415 hi.(

•lbab alnuqul fi 'asbab alnuzuli, eabd alrahman bin 'abi bakrin, jalal aldiyn alsuyutii (almutawafaa: 911hi), tabeatun: dar alkutub aleilmiat – bayrut.

•lisan alearab ; muhamad bin makram bin ealaa, 'abu alfadali, jamal aldiyn abn manzur al'ansarii alruwayafeaa al'iifriqaa (almutawafaa: 711hi), tabeata: dar sadir – bayrut, ta3 (1414 hi).

•mabahith fi eulum alqurani; manaae bn khalil alqatan (almutawafaa: 1420hi), tabeatu: maktabat almaearif lilnashr waltawziei, altabeati: altabeat althaalithat 1421hi– 2000m.

•mukhtar alsahahi; zayn aldiyn 'abu eabd allah muhamad bin 'abi bakr bin eabd alqadir alhanafii alraazi

(almutawafaa: 666hi), tahqiqu: yusif alshaykh muhamad, tabeatu: almaktabat aleasriat - aldaar alnamudhajiatu, bayrut - sayda, ta5 (1420h / 1999ma).

•almuejam almufaharis li'alfaz alquran alkarim; muhamad fuaad eabd albaqi, tabeat dar alkutub almisria (1364 hi - 1945mi).

•almuejam alwasiti; majmae allughat alearabiat bialqahira ('iibrahim mustafaa/ 'ahmad alzayaati/ hamid eabd alqadir / muhamad alnajar), tabeatun: dar aldaewati.

•muejam maqayis allughati; 'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwinii alraazi, 'abu alhusayn (almutawafaa: 395hi), tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, tabeata: dar alfikri(1399h - 1979mi).

•maejam watafsir lughawiin likalimat alqurani; hasan eiz aldiyn bin husayn bin eabd alfataah 'ahmad aljumla, tabeatu: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, masir, altabeati: al'uwlaa, 2003 - 2008 m

•mafatih alghayb (altafsir alkabiru); 'abu eabd allh muhamad bin eumar bin alhasan bin alhusayn altaymiu alraazi almulaqab bifakhr aldiyn alraazii khatib alrayi (almutawafaa: 606hi), tabeatun: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut , (t3 - 1420 ha).

•almufradat fi gharayb alqurani; 'abu alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfahanii (almutawafaa: 502hi), tahqiqu: safwan eadnan aldaawudii, tabeatun: dar alqalami, aldaar alshaamiatu- dimashq bayrut, (t1 - 1412 ha).

•almuntakhab fi tafsir alquran alkarimi; lajnat min eulama' al'azhar, almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiat - masr, tabeatu: muasasat al'ahram, ta18 (1416 hi - 1995 mi.(

•almawsueat alfiqhiat alkuaytiati, wizarat al'awqaf walshuyuwn al'iislamiat - alkuayt, altabeat al'uwlaa, matabie dar alsafwat - misr

•nuzhat al'aeyun alnawazir fi eilm alwujuh walnazayiri; jamal aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin ealii bin muhamad aljawzi (almutawafaa: 597hi), tahqiqu: muhamad eabd alkarim kazim alraadi, tabeatu: muasasat alrisalat - bayrut, ta1(1404h - 1984mu).

•nuzum aldarar fi tanasub alayat walsuwr; 'iibrahim bn eumar bn hasan alribat bn ealii bn 'abi bakr albiqaeii (almutawafaa: 885hi), tabeatun: dar alkitaab al'iislami, alqahirati.

•alwujuh walnazayir; 'abu hilal alhasan bin eabd allh bin sahl bin saeid bin yahyaa bin mihran aleaskarii (almutawafaa: nahw 395ha), haqaqah waealaq ealayhi:

muhamad euthman، tabeatan: maktabat althaqafat aldiyniati، alqahirati، altabeati: al'uwlaa، 1428 hi - 2007 mi.